

تطور البحث الدلالي

(34) حثالة من الناس وقد مرجت عهودهم وأماناتهم . فهو يعقب عى ذلك شارحاً
ومدلاًّ ومسوغاً ، لغة وبلاغة ونقداً فيقول : - " أي لا يستقرون على عهد ولا يقيمون على
عقد يصفهم عليه السلام بقلّة الثبات وكثرة الانتقالات . وأراد أصحاب الأمانات والعهود وإن
كان ظاهر اللفظ يتناولها وصريح الكلام يتعلق بها وذلك أيضاً من جملة المجازات المقصود
بيانها في هذا الكتاب . والحثالة الرديء من كل شيء واصله ما يتهافت من نشارة التمر
والشعير " (1) . وهذا المنهج التطبيقي الذي اختطه الشريف الرضي لقي قبولاً عند جملة من
علماء الدلالة العرب والمسلمين فسلكوا سبيله ومن بينهم أبو منصور ، عبد الملك بن محمد
الثعالبي في جملة من إفادته في هذا الشأن كما سنرى . 6- فإذا وقفنا عند الثعالبي ، أبي
منصور (ت : 429هـ) لمسنا منهج التنظير المتتابع متكاملاً لديه في التنقل بين حقول
الألفاظ الدلالية ، فمن دلالة لغوية إلى أخرى مجازية ، إلى دلالة نقدية ، وهكذا تصاعدياً
في لفظ يكاد يكون مترادفاً في دلالة ثابتة ، مترقياً بذلك في اللفظ في ترقيه بالدلالة من
صيغة إلى صيغة ، وإن تغير جنس اللفظ إلى جنس من المعنى ، ولكنه مرتبط باللفظ الأول ،
وهكذا يترتب ترتيباً دلالياً هذا اللفظ ليكون حقيقة أخرى ، بتدرجه في المنازل ، وتقلبه
على المعاني شدة وضعفاً ، مما يعطي تصوراً فنياً بتبلور هذه الظاهرة الدلالية لديه ،
وإن لم يستطع أن يعبر عنها بمستوى الاسطلاح والحدود والرسوم إلا أنه قد أدركها أدراكاً
جيداً عند تناولها واضحة نقية عند التطبيق الدلالي المركزي . وانظر إليه هنا وهو يفصل
القول في هذا المنهج بحديثه عن مراتب الحب في الألفاظ المناسبة لكل حالة لها دلالة خاصة
فيقول : - " أول الحب الهوى ثم العلاقة : وهي الحب اللازم للقلب ثم _____ (1)
المصدر نفسه : 55.